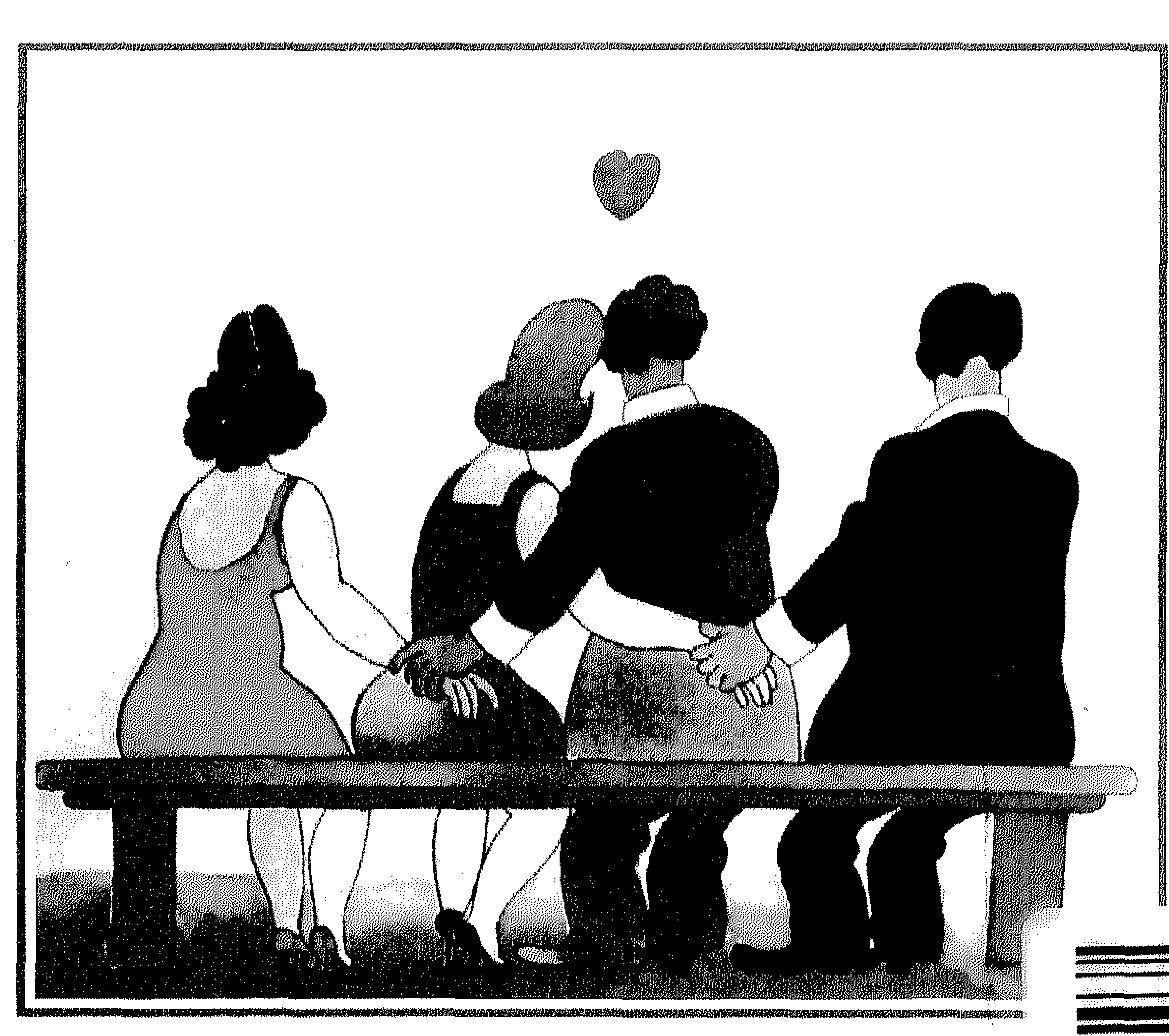
محمد بركة

كوميديا الإنسجام



قصص قصيرة



كوميديا الانسجام

قصص قصيرة

محمد بركة

لوحة الغلاف للفنان : **على فرزات**

صورة الغلاف الخلفى عدسة الفنان : **موسى محمود**

الطبعة العربية الأولى . يوليو ١٩٩٩

رقم الإيداع ٩٩/٤٥٤٥

الترقيم الدولى : 977-291-146-9



السلسلة الأدبية

الجمع والصف الإلكترونى
مركز الحضارة العربية
تنفيذ : صفاء الشريف

٤ ش العلمين عمارات الأوقاف
ميدان الكيت كات
تليفاكس : ٣٤٤٨٣٦٨

محمد بركة

كوميديا الانسجام

قصص قصيرة



الإهداء

سأعبر حزن أمى ولهفة حبيبتى

وسأتوجه لذلك الرائق الجميل الذى أحرج رقابة المصنفات بأغنية «كداب يا خيشة .. كداب قوى .. أنا كنت فاكرك فهلوى»

فلما قالت له الرقابة «لايمها حبتين»

كانت أغنيته الجديدة «طيب يا خيشة وكلك طيابة .. زعلت منك حتى الرقابة» ...

يا دوبك

هذه مملكة الدانتيل الأبيض والنهود الجريئة . أدخلها كل صباح أميراً متوجاً بأمر الوزارة . تلمحني على البعد فتيات الأمن الواقفات على البوابة بالكاب الأحمر .

– اتفضل يا أستاذ .

واحدة ترحب والثانية تجذب الترباس الحديدى .

– حضرتك مُدرّس الانجلش الجديد ؟

ضحكات مبللة بالندى وعيون واسعة ، ماكرة أخلفها ورائى . أشيل طاجن ستى وأنا أخطو عبر كوكبة القمصان البيضاء تشف عن لون السوتيان . أبوس القدم وأبدى الندم حتى يتكرمن ويفسحن – يادوبك – نصف الطرقة كى أمر . أعرف أن هذا منتهى الكرم . ولا أستطيع أن أطالب بأكثر من ذلك وأنا أعبر طرقة مملوكية ، طويلة ، عامرة بالأرداف ...

***

طـــارق

أذكر أنه كـان يوم الاحتفال بمولد النبى ، أى يوم «الحـلاوة» و«دكر البط الشينى» والـبهجـة الموسميـة التى تترقـبهـا عزبة نائية لم يكـن بطل الحرب والسلام يـعرف عنها شـيـئاً . كـان الحر كـالهـم الثقـيل والترعـة تجرى بماء صاف ، وحين تحلقوا حول الطبلية ، لاحظوا غياب «طارق» .

ودون أن أثقل عليكم – وعلىَّ – بالتفاصيل طارق كان نائماً على بطنه، والتيـار الناعـم يجرفه فـى هدوء حتى اعترضه أخيراً فرع كـافور ، ودفعتـه التيـارات الـصـغـرى برفـق نحـــو الشـاطىء وتكاثرت عـيـدان الحطـب وأوراق الصـفصـاف الجافـة وتجمع الزبد حـول جثـة أخى التى تبـدو الآن منتفخـة قليـلاً ...

(فيصل – ديسمبر ١٩٩٧)

***

(.......)

حين غرق أخى فى الترعة ، قـضم الحزن قطعة من قلب أمى التى كانت آنذاك وردة جميلة تتفتح . ونخر الـسوس أعصاب أبى حين وصلته الرسالة المشئومة وهو فى الغربة يُعمّر بلاد «روح يا مصرى تعالى يا مصرى» .

أمى كـفت عن ارتداء الملون ، ولـم تعـد تقف أمـام المرآة . وأبى سـخط على صديق عمره الذى تلاعب بأعصابه فى المقـدمة الطويلة المليئة بعبارات من نوع «نحسبك صبوراً» و«نثق فى إيمانك بالله» وتمنى أن لو كان قد ألقى إليه بالخبر فى هدوء وبساطة .

أمى قالت «ما عادلناش قُعـاد فى البلد دى» وأبى عاد فى نفس الأسبوع وقال «اللى تشـوفيه» . وانتقـلنا نحن الثلاثة إلى مدينة صـغيرة يزحف فيـها النيل على بطنه ، وتجر عرباتها الكارو أحصنة عجوز ، ويحب حريمها الجارة الجديدة «أم طارق» وينادين ابنهـا الوحيد حـسب هذا الاسم دون أن يعرفن أن اسمى «محـمد» وأن طارق هو اسم أخى الكبير الذى رأيت جثتـه طافية وسط العيدان وأوراق الشجر ..

***

الأرشيـــف

توتة توتة .. فـرغت الحدوتة .. و«البنك» الذى نعمـت حوافه من كـثرة استناد أكواعـهم عليه ، ورجرجة الزيت المدعم وهو ينزلق من قُـمع صفيح إلى چركن بلاستـيك سعة ٥ لتـرات ، والشمس الضاحكة المنقـوشة برداءة على صابون الغـسيل ، وفتلة الدوبارة الـتى فشلت فى تكميم أفـواه كراتين شاى الحكومـة الرخيص ، والطرف المدبب للمجـرفة وهى تشق تلال سكر غـير مكـرر ، والقراطيس المـصنوعـة من ورق اللحـمة ، وأكـيـاس الزهرة المثبـتـة بمسـمار على البـاب ، والعفـاريت الصغـار وهم يشيـرون لأصابع الحلوى الملونة (حـتة حـلاوة يا عم) فيـشخط فيـهم صاحب المحـل (امشى اتحل ويرك منك له) .. والحمارة الملولة .. والخُرج المفتوح .. والنهد الأبيض المحندق لبنت صاحب المحل وهى تناولنى بضاعة .. وعـتمة بير السلم التى احتفظت بلهاث أنفاسنا فى أرشيف الزمن اللعين المراوغ .. وأنا .. أنا ...

(دمياط - ١ فبراير ١٩٩٨)

***

معلهش

ليست رغبة مجنونة هذا الذى يتملكنى . إنها شهوة الشهوات ، أن أخرج حالاً بملابسى الداخلية ، لأمر ما يحبك المطر وأنت بملابسك الداخلية ، أعتذر لكرات الثلج المتساقطة نيابة عن عيال العزبة . أقول معلهش .

لدستة أسباب خارجة عن إرادتنا لن نستقبلكم اليوم بأنشودة :

علي يا بو مخ .. خلى الدنيا ترخ .

وكذا لن يتاح لنا تقديم أوبريت :

رخى يا دنيا رخى على قرعة بنت اختى .

بارضو .. !

الدنيا مشاعل وأنتن - يا كرات الثلج الأنيقات - تُقدرن الموقف أكيد . ثم يهيىء لى فجأة أننى قد ظفرت بالغدر الأكيد ، فأصنع من كفى بوقاً وأضغط بقدمى فى الوحل وأنا أزعق : إذا كانت العاب الكمبيوتر بتلحس عقلنا إحنا يا كبار !

***

هكذا كالحلم

من خلف شيش النافذة رأيتها تندفع فجأة ، العربة الكارو يقودها فلاح طيب يلهب مؤخرة الحمار بعصا قصيرة غليظة . كان مرتدياً أفرول الجيش القديم . وكان قد شق شيكارة بلاستيك لم تأخذ الجمعية الزراعية ثمنها من لحمه الحيّ وفردها معطفاً يقى الرأس والظهر من ضربات المطر ، ثم مرق هكذا كالحلم . ولولا صيحته التى مازالت ترن فى أذنى «حَا» ولولا أثر عجلات العربة التى دهست الغشاء الثلجى المتكوم على حافة الطريق ، لظننتنى بالفعل أحلم .

رأيت المطر يهدأ . كان ذلك شبه مؤكد حين نظرت إلى سطح الترعة . ومن فوق السطوح ، غدت المزاريب أقل انفعالاً وأكثر رزانة . ولم تعد المزاريب تقذف سيولاً ، بل سرسوباً هادئاً ، طويل البال .

انفرج تكتل السحب الداكنة قليلاً ، وأطلت السماء على الأرض بعشرات العيون الزرقاء . وتسللت أشعة الشمس مُبللة وهى تمسح أوراق الكافور المغسولة بالمطر ، وظلت واجهات البيوت التى لم يتم طلاءها ترشح ببطء .

رأيتـه أول من يهم بمغـادرة جحـره . كلب صـعلوك تمطى وهز ذيله ثم مضى لحال سبيله . تلاه صاحب المقهى . حمل مقطف النشارة الذى وصى عليه الصنايعية فى الورشـة المجاورة ، وبدأ يرش . يبغى تأمين ممر آمن وسط الوحل يصـعـد بالمشاه إلى سـلم المقهى . ولا تـدب الرجل فى الملاية اللف مطرح ما تحب ، بل حيث مدق صغير بزغ تلقائياً على حرف الطريق .

ثم رأيته لا يعبأ بـ «ياالله حسن الختام» جدى الخارج من البيت يحمل «عواّقة» خـفيفة تناسب نحول ساقـيه بعد أن نكّسه الرحمن عـيلاً لا قِبل له بثقل الفأس . فـرش عود قش وجلس مستنداً بظهـره إلى الجدار فى موضع نجا من غارة المطر . أخـرج من جيب الصديرى علبة البفـرة ، ثم سعل بقوة وبصق مع النفس الأول . رأيته يرقب مياه البحيرة الصغيرة التى خلّفها المطر وهى تذهب فى المجرى العمـيق الذى حفره أمس باتجاه التـرعة . وإذا مرت عربة نقل ودهست بعـجلاتها العـمياء المجرى فـانسد ، ضرب كـفاً بكف ، وغمغم فى هدوء ...

(حسن محمد – ١٩٩٦)

***

نهدان يرنجان خفيفاً

مرة أخرى ، أفتح شيش النافذة قليلاً فألمحها عند آخر سلالم الترعة منحنية على رصة «المواعين» . تلم طرف هدومها بين ركبتيها وتدعك بالسلك والصابون . تدعك .. تدعك .. وحين تصبح الشكة فى ظهرها غير محتملة ، تفرد الجسد العفى للحظات ، وتمسح بظهر كفها العرق من على جبينها ثم تعاود الدعك بنفس الهمة والاصرار .

مرة أخرى ، أخرج فأشعر بحرقان خفيف فى الجفن . كنا فى عز القيالة. والتراب ينتظر واحداً ابن حرام يمشى حافياً على الطريق ليشوى بطن قدميه. مضيت فى هدوء نحو السلالم . دليت الجردل حتى امتلأ عن آخره . وكان الشبشب الصينى قد ابتل . وكنت أخشى أن أتزحلق . وكان الجردل ثقيلاً نوعاً ما ، وكنت أخشى أن تنزلق المياه منه ، فتأخذ بالها من أنه غير ثابت بيدى .

أفرغت الجردل فى الحفرة المحيطة بجذع أول نخلة ، فشربت الأرض العطشانة على الفور . رفعت بصرى إلى النخلات الباقيات بامتداد الشاطىء أمام البيت . كانت أراضيهم بالمثل «شراقى». ووجدتنى أحسبها ،

٤ جرادل هنا ، وخمسة لكل نخلة هناك ، إذن مطلوب ٢٩ جردلاً . وشعرت بالعرق سريعاً ينبت تحت إبطي وبالحرقان يزداد في عيني . وقلت لنفسي كان يبقى جميل لو كان الواحد يعرف يُشْخُر ، أو على الأقل يقول «أحه» بشكل مقنع . وإلا فما معنى أن يكون لديك الخرطوم الطويل وحنفية بحوض واطي في الزريبة ، ومع ذلك تكون مضطراً لاستعمال الجردل ، لا لشيء سوى أن حكمة الآباء تؤكد أن المياه المرشحة لا تفيد الزرع مثل مياه الترعة .

عدت إلى السلالم . وضعت الجردل بالمقلوب وجلست قبالتها على قاعدته الناعمة . كانت رصة المواعين التي دعكتها وفي انتظار «التشطيف» بدأت تعلو . وكانت مستمرة في دعك ما تبقى بنفس التركيز دون أن ترفع عينيها الخضراوين إليَّ . وكان نهداها الممتلئان في لون الحليب يرتجان خفيفاً . وقلت لنفسي جميل إن زراير فتحة الصدر الثلاثة مقطوعة . وكان يبقى أجمل لو كانت قد استغنت عن دبوس قليل الحيلة تشبكه كبديل فلا يستر شيئاً ...

(العجوزة - ١٦ يوليو ١٩٩٨)

***

اسمها ماری

لا حاجة لی الآن باسم «مریم» الذی لا أحبه ولا أكره ما يثيره من ذكريات مُسلية عن جذع النخلة . لا حاجة لی أيضاً باسم «ماريًا» فتأخذ حذرها وهما يقاتلان الوحش الالكترونى الشرير .

....

اسمها ماری

(فيصل - ديسمبر ١٩٩٧)

***

أحمد حبيبه يتذكر

تمطر وابلاً أو رذاذاً يـرتعش قلبى الخـالى . نتـكدس - أولاد وبنات - على شريط الطرقة محاذرين الانزلاق فى الحوض الذى فجره المطر عيوناً ومناقع بلون الطين .

هنا فـاجأنى اخضرار شـواربنا ، وهنا تلقـيت أسرار الرجـولة الأولى ، وهنا أضنت أمعاءنا سندوتشات خالتى عزيزة الفرّاشة .

السندوتش بقرش ينبه المعدة ثم يتركهـا هائجة ، مستثارة تطلب المزيد . والحل أن يلف كل منا على العيال أصحابه وعزوته :

أحمد ... حبيبى .. لقمة !

وأنا أحمـد حبيبـه لا أتعـب نفسى فى أيـة محـاولـة للتهرب . إن هى إلا بصقة واحدة على السندوتش فى يدى فإذا بالأيدى الممدودة تختفى وإذا بالسائلين يطفشون ...

(ديسمبر ١٩٩٧)

***

عشيقة الحاج معوض

لم يكن الحاج معوض «حاجاً» ولا يحزنون .. وإنما هو العُرف الذى جرت عليه نفس العزبة النائية فى توقير شيخ كبير زوَّج ابنه وستر بناته . والحاج معوض الذى لم يذق ماء زمزم ولم يرم الجمرات ، مازال ساعده الأيمن يحمل وشماً «الغازية» من غوازى الغجر رآها منذ عشرين عاماً فى فرح ابن شيخ البلد ، فهجّ وراءها فى العزب والكفور بضع ليالٍ قبل أن يرده أولاد الحلال إلى عقله وامرأته .

مات الحاج معوض دون أن يحج بيت الله الحرام . ولم يخف الشيخ عبد الله خطيب المسجد استياءه من حكاية الوشم هذه . وقال :

معوض ماكانش بيركعها وصورة الزانية على دراعه هتتحول إلى قطعة من نار جهنم يتقلّب عليها وهو فى القبر .

وهمس أحد الحاضرين وهو ينظر بإشفاق إلى الجسد المسجى على السرير :

- وايه الحل يا مولانا ؟

وعلى مدار ساعتين ، كانت الجثة موضوعاً للأخذ والرد قبل أن

يغسّلوها ويرشوها بعطر رخيص ثم يهيلوا عليها التراب ليستقر جدى فى باطن القبر عاشقاً هزمته «مياه النار» التى أزالوا بها صورة الحبيبة من على ساعده ...

(العجوزة - ١٣ اغسطس ١٩٩٨)

***

ما حدث بينى وبين أم حماده

دعونى أولاً أذكركم بقصة اسمها «صاحبة النزل» كتبها درويش طيب اسمه عبد الحكيم قاسم ، فالولد الماكر رأى صاحبة البنسيون سمينة ، ورآها اسكندرانية تملك عتاداً رهيباً من الشخر والأح. ورآها وحيدة تعيش بلا ظل رجل ، والولد الماكر كان مفلساً ، ظل يتعقبها بعيون تندب فيها رصاصة . ثم أصبح يزنقها ويشم لحمها الطرى ، وأخيراً أولج لسانه فى فمها برائحته الكريهة ، وتهاوت القلعة السكندرية أمام الضربات المركزة ، وارتفعت الراية البيضاء . وحلف الولد على المصحف ألا يفضحها حين يحدث هذا الشيء الذى سيبقى سراً بينهما ، هذا الذى جعل الست تطير من الفرحة وهى تهيىء جسدها ، هذا الذى لم يحدث أبداً ، لا لأن الولد فجأة «فص ملح وداب» بل لأن عبد الحكيم قاسم درويش طيب .

(فيصل - ديسمبر ١٩٩٧)

***

أرز باللبـن

أرى البنت فـتعـجبنى وترانى الـبنت فأعـجبـها ، وهذا فـقط ما يجـعل القاهرة محـتملة : أن يهبنى الأصدقـاء مفتاحاً أنيـقاً لشقة حقـيرة ، أدخلها بصحبـة نهدين مغرورين ، أظل مـتوتراً والبنت تريح رأسى على ركبتـيها . تنحنى علىَّ بصـدرها ثم تلقـمنى الحلمـة فـأتلقاها ملـهوفـاً . وحين أهدأ ، أكون قـد انكمشت تماماً فى الحـجر الأنثوى الكبيـر ، وتطبطب علىَّ الكف الحانية ، وتـخدرنى الهدهدة اللذيذة ، وتتناهى إلى أذنى أصداء أغنـية عذبة قادمة من بعيد ، ثم تدعونى الملائكة إلى وليمة أرز باللبن ..

(فيصل - ديسمبر ١٩٩٧)

***

لا تصدقوه

بالأمس لم تكن القـاهرة غولاً يفُح الصـهد ويأكل الأسمنـت . القاهرة بالأمـس لم تكن غــولاً يفُـح ويأكل الأسـمنت . يا اخـواتى قـاهرتكم لم تكن غولاً يفُح بالصهد ويأكل الأسمنت أمس .. يا مارى .. أنا لست نبياً . يا وائل .. أنا لا تعنينى الحداثة فى شىء .

(ديسمبر ١٩٩٧)

***

ينسانى الموت

كانت أمى كلما تذكرت شيئاً كانت قد نسيته وهى تكلمنى ، تشهق فى خفوت وتقول على الفور ، كأنما تعتذر :

ينساك الموت .

مجرد «لازمة» فى كلامها ، لكن ما حدث هو أن التيار الكهربى فجأة انقطع ، وسمعت ضلفة النافذة تفتحها ريح نفد صبرها ، وعلى الفور ابتل سريرى برذاذ عنيف لمطر مذعور .

خبأت وجهى وغصت تماماً تحت البطانية دون أمل فى أن ينسانى هذا الهادىء ، الواثق ، القابع هناك خلف الباب ...

(فيصل - ديسمبر ١٩٩٧)

***

حنان مدفوع الأجر

هذه المرة لم تكن أمي هي التي تدفع رأسي برفق تحت الصنبور . تتخلل أطراف أناملها خصلات شعري بحنية .

ينساب شلال المياه الدافىء مختلطاً ومن فوطته النظيفة ، الولد الذى رأى الأتربة العالقة بشعرى تترسب فى حوض ناصع البياض .. ثم يمضى فى هدوء يدعك أذنى ويمسح على عينى برقة ...

(دمياط - ٩ ديسمبر ١٩٩٧)

***

النَمِــرة

النَمِرة الـعفيــة التى لا تنهكها طعناتى ، الـنَمِرة التى تشخــر وتعض وفى لحظة الوصول تعصرنى عصراً . جدائل شعــرها الإفريقى ، انتصاب حلمتها السوداء ، صهد مؤخرتها وأنا أُخبىء فــيه وجهى . النَمِرة التى تحتفظ بنسخة من مفتاح الشقة . والباب الذى انفتح . والعين التى وقعت على أتربة تكسو المقعـد الجلدى القديم . وتجشــأت زينة ، واهتز ثدياها المتــرهلان . وتحركت بفمـها رائحـة بيرة رخـيصـة . كنت تحت الدُش أرقب تكاثف البخــار على زجاج الباب . وهى أم ومطلقة ومـصابة بالربو تنتظرنى على السرير دون أن تعـبأ باتســاخ الملاءة . وأنا منزوٍ فى ركن الحـمـام أتأمل حيــرة «حـمامــتى» الصغيرة ..

(٩ ابريل - ١٩٩٨ دمياط)

***

ثلاث غيمات

بعد منتصف الليل ، وضعت سماعة التليفون ، وقلبى مثقل بالغيوم .
لم أستطع الاعتراف وأقصى ما قلته :

- هذه المؤسسة التى نعمل بها لديها - رغم كل شيء - قلب صغير سيفتقدك .

فقالت :

- لا أظن

فقلت :

- على الأقل ، مفتاح الأسانسير سيحن إلى ضغطة اصبعك .

فسكتت . وسكتُ . ولم أعرف أبداً إن كان هذا السكوت علامة رضا .
لكنى تمنيت لها اسبوعاً سعيداً فى الساحل الشمالى . وقبل أن تضع السماعة ، قلت لها : وانتِ فى الشاليه .. افتحى الشباك وطُلى على البحر الكبير الأزرق والسما البعيدة الزرقاء ، ولو خطرت على بالك ، لا ترددى فى الاتصال .

قالت :

- أكيد

وكان لابد أن أضع السماعة الآن ، لأن الوصيفـات بعد ساعتين بالتمام والكمال سـيتسـللن إلى مخدع الأمـيرة ليضـعن قلبى وثلاث غيـمات فى شنطة سفرها ..

(العجوزة - ٨ أغسطس ١٩٩٨)

***

عن الجريء والجميلة

– 1 –

هذا هو الأكازيون السنوى للإحباط ! فالحالة ضنك ، وفلوس الجوائز مغرية ، لكن من أين لنا بالانفعال ، نحن الذين وُلدوا فى السنوات القليلة الساخنة بين ١٩٦٧ - ١٩٧٣ ، نظل نعيد قراءة بيانات كوبون الاشتراك ، نتأمل شروط هذه المسابقة السنوية ، وأبداً لا يضطرب فينا هذا الهدوء .

– 2 –

«لسنا كُتّاب مناسبات»

يقول الرفاق وهم ينسربون إلىَّ عبر الباب :

«نحن قوم لا نكتب إلا إذا انفعلنا ، وإذا انفعلنا لا نغالى» .

على الشاشة تتهادى مروحيات جيش الدفاع كأسماك الزينة داخل الحوض ، والرفاق أعدوا النسكافيه . تحلقوا حول الجهاز لمشاهدة فيلمهم الجديد . يرشفون من أكواب ضخمة ملونة يسمونها «مج» والأم لبنانية نفد منها الورق فخلعت حجابها الأبيض لتغطى بقية الجثث .

«مصباح علاء الدين ليس بحوذتنا ، لنأمر الخادم فتفرز أقلامنا فناً ملتهباً يليق بهذه الحرب ، ويخلد ذلك الانسان» .

- 3 -

تجاوزت المسألة مجرد الشعور بالراحة حين غادر الرفاق شقتى . وبالفعل لم تمض ساعة حتى وصلت الأميرة . ألذ ما فى ممارسة الهوى أن يكون هناك بالفعل هوى . انك آنئذ ما ان تفتح لفتاتك الباب ، حتى ترفعها من على الأرض . وتشهق هى مأخذوة من جنونك لتبدأ أنت السفر الطويل ، الخالد نحو غرفة النوم . فيم يزيد عنا أبطال «الجرىء والجميلة» ؟ مستلقياً على ظهرى وحبيبتى ينام عريها على صدرى . تهمس:

- لقد انتهت القصة ولم يبدأ العبور ؟!

فأنفث فى وجهها خيطاً من الدخان .. هادئاً طويل البال ...

***

المارد المرح

.. واحـمد أبو ازدحـمد طـلع دين أمه . خـمس مـرات يخلع الجلابيـة المزودة بفـتـحـات تهـوية عـديدة . يـقف على الكوبرى ثم يـغطس وهو «باللباس» فى قلب الترعة . ومـهما دغدغته المياه الخضـراء الجارية ، ومهما لعلع صـوته المنكر بأغنية : انس الـدنيا وريّح بالك ، فـلابد أن تأتى اللحظة المكتوبة ويطلع احمد أبو ازدحمد من الترعة .

ثوان وتكف قطرات المياه عن التساقط من شعـره ويشتعل السباخ المبلول أسفل قدمـيه ، ثم سريعاً يجف اللبـاس وينبت العرق ، فيشعـر أبو ازدحمد بالحاجة إلى غطسة جديدة. وهكذا فى كل مرة وكأنك يا بو زيد ما غزيـت.

لكن أرنباً أسـود ينزلق فجـأة من فوهة الحر ليـفتـرش فى هدوء التراب الحارق . أرنب فحل ورأسه كبيرة . لابد أنه ذكر . نعم ذكر لا يخاف احمد أبوازدحمد ، بل ويـتثاءب مستـسلماً لقبضـتيه القويتين . يحمـله احمد فى حجره ، وينطلق به نحو الدار . ولكن ما إن يقطع بضـعة أمتار حتى يتحول الأرنب إلى قوالب طوب تثقل حجره فيدحرجها على الأرض من سكات .

وقبل أن يخلع الجلابية تأهبا للغطسة الجديدة ، يسمع زفرة حمار قريبة ،

يتـأمله أبو ازدحمـد جيـداً . ويعرف أنه حـمار (حـصاوى) ثمنه فى سـوق الجمعة بالشيء الفلانى . يقترب منه ويربت على رقبته الحليقة .

- يارب يا هادى !

هوب .. ويقفـز على ظهر الحمـار . يزحف للخلف قليلاً حتى يتـفادى النتوء العظمى البارز لسلسة الظهر . ومـا إن يرتاح فى جلسته حتى يبدأ فى ركل البطن بقـدميه خـفيفـاً . لكن الحمار لا يتـحرك . ينحنى أبو ازدحـمد بجذعه تماماً ويلتقط عود حطب من على الأرض . يوسع الحمار ضرباً على رقـبته ومـؤخـرته . وبدلاً من أن يُحـرك الحـمـار سـاكناً ، إذا به يهـبط .. ويتضاءل .. وينكمش حتى تلامس قدما أبو ازدحمد ثم مؤخرته الأرض .

ولم يخـتلف الأمر كـثيراً مع الخـروف أبو قرن مـقـصوف ، فـما كـاد أبوازدحمد «يُملِّس» على فروته الغزيرة حتى هبت «فسية العفريت» لتجعل منه مجرد دوامة هوائية صغيرة لم تلبث سوى لحظات قبل أن تنقضى .

....

لا أعرف إن كان أهالى قريتنا لازالوا يتسامحون مع مرح المردة ؟

***

شَعْر البنات

اظهرى أيتها الساحرة !

اظهرى ولن تقاتلى عيلاً يتيماً ، بل ستواجهين ملكاً راسه براس أبى الغضب و فيجا الكبير ..

فنجل عينيه ، طقطق أذنيه . لم يظهر شىء . لم يخرق الخنجر المسموم كيس الشبورة المنفوخ . فلينتظر إذن حتى تنتهى الشمس الكسلانة من تناول الفطور . وواصل مرعب الساحرة مغامرته . والتراب المبلول بالندى يتعرف على صندله . ينزلق تحت أصابعه فيصبح عجيناً .

ألقى بالحلقة الحديدية لأعلى ، ولولا الشبورة لكان نط والتقطها أحسن من مدرب السيرك الذى أقيم الاسبوع الفائت فى حوش المدرسة .

الشبورة تعرف ذلك . تلك الشبورة المكارة أبيض من غطاء كفن جدو تعرف ذلك . وعلى من تضحك . على من تمثل طيبة منى أختى وهى عروسة عريسها عجوز مناخيره قد الكوز . أنه أنصح من أبى العريف وفقسها من أول مرة .

صح !

مظبوط !

هذه الشبـورة هى أخت الساحرة الشريرة وبنت عم الندى إلهـى يقرصه تايه عن وكـره ، ليـعرف أن الله حق . ويـعتق أكـوام القش والزير وخـلايا النحل وصـبايا التوت والخـروع وشعـر البنات اللاتى يبكين الآن وتتـساقط دموعهن فى دوائر كبيرة .

فجأة ضـربة سيف أطارت حبل سـؤاله . كان ظهراً أحمـر عالياً ورأس ضخمة يراها بوضوح فى المياه القليلة الرائقة . قدر بخبرتـه أنها قـادرة على قـرض عشـر سنانير «لطش» كـومـة قـش ألقـاهـا أمامـها ، ثم أتى بكومـة أخرى ووضعها وراءها بمسافة كافية . شمر وباسم الله نزل القناية . ياه .. يا بنت الإيه ! كيف فى ثانية تصحو من نومها تشق المياة كأنها الآلى ذو المقص يفر أمام مازنجر .

وبدأت المطاردة ..

هى فى مياة مـثلجة لا ترتفع أكثر من شـبر . وهو على ضفتين ضـيقتين يركض بساق فـتلة . هى تقترب من أحـد الحاجزين .. تقـترب .. تضطرب فى صورة أنفاس هائجة .. تصطدم بالفخ المنصوب .. تتفلفص .. وتمتد يده الكماشة تطبق .. تطبق ..

تطـ .... ـبق على الذيل العريض اللزج . وبعيـداً بعيداً يظهر ثم يختفى خط من المياه العكرة .

تماماً مثلما انسحبت معظم قوات الشبورة على أثر تهديد تلقته من رسل الشـمس الذين قـالوا انما نحن مـقدمـة جيـش مؤخـرته عند ملكة القـرص الأصفر . كان كل ذلك زبداً على فطيرة . أمكنه أخـيراً تنويع قفزاته واظهار ما خفى من قدراته ..

***

أبو بخيـــت

– 1 –

أعرف الآن كيف أفك مدفع كوسة زنة ٥٥٥ كجم وأنصبه فى ٤٥ ثانية . وكيف أن ذلك بخت عظيم يؤهل للانضمـام إلى «الهاو نجية» على خط النار فى البصرة ..

وتمشى البلية ...

وتبقى العملية فى النملية ...

– 2 –

الناس تنظر إلى البيادة باحترام . السائقون عصبيون فى تعاطفهم :

– بسرعة يا دفعة !

الكمسـارية – أصحابى – يكشـرون حين يـرون الأفـرول الزيتى . وأنـا فى سـابع فرحـة طائـر .. وكيف لا ؟ وبالمحـفظـة كـارنيه يشـرح القلـب الحزين ويزغلل فى عـيون الإرهابيـين . أخيراً جندى مـجند بأهم سلاح فى الجيـش ..

– 3 –

هنا مركز تدريبى ..

فى حضن هرم سقارة الشاهد الوحيد على خرقنا حظر التجول . المضطر يركب الصعب .. قد تحتمل السوس (المفّول) والحصى الملآن أرز و«الجراى» فى العفونة .. لكن الماء !

لابد من الماء . والماء فى الخزان . والخزان فوق حجرة العميد . والعميد يأكل أرزاً مع الملائكة . وبعد الأكل لابد من حمام منعش . والحمام يلزمه ماء . والماء فى الخزان .. والجوع كافر لكن العطش مُلحد !

نحمل أكفاننا على أكتافنا . نكتم أنفاسنا . وبعيداً عن «الكلاش» فى أيدى الحرس نزوغ ..

وعميد يصرخ : كل واحد يردم عليها ! وصلت لجنة التفتيش إذن .. نركب الرمل حتى نهاية المعسكر ونردم منكتين على قطع الجاتوه وأطباق المهلبية . ودوماً بختنا حلو !

لا يدوم التفتيش طويلاً . فنودع دون دموع أربع دورات مياه مخصصة لنا نحن الأربعة آلاف رأس . نعود من جديد إلى دوراتنا المفتوحة قبلى وبحرى . نضع الجاتوه والمهلبية موقنين .. أنه ليس هناك فى هذه الدنيا الواسعة أحسن من البساط الأحمدى ...

– 4 –

دماغى أسلاك شائكة ..

لكنها خُطبة الجمعة . الاستعانة بالصبر حتى ينتهى الواد حسن الواقف على المنبر من قراءة ورقة عليها توقيع الجهات المختصة .. ثم ...

دوى صفار إنذار

بركة يا جامع

دوى قنابل

دخول العميد وصرخته فى حسن . فوراً يمتثل للأمر . يُخرج من عبه راية بيضاء صغيرة . ينتظم تواً طابور الصبح . حاجبى المرفوع أنا الوحيد دون راية . دقه قلبى والجميع ملوحين بالراية . يرددون هتاف حسن المنبرى دون صوت يصلنى ..

ضحكتى والصداع صايع ..

والعتمة بنت ناس ...

– 5 –

وحدى أنا فى هذا الملجأ الغويط الوسيع . دماء يابسة . أشلاء ملتصقة بالأسمنت . أربط الحزام . فى الملكى أيضاً يربطون الحزام . أقاوم بزلطة تحت لسانى . حين تنهار مقاومتى أبل حلقى بجرعة واحدة ثم أحكم غلق الزمزمية . تسفر جولات التفتيش بين الصخور عن ثعبان . أنزع الرأس . أقشر الجلد .. وهم يا جمل !

- 6 -

أرتوى فقط حين تتكسر فقاقيع البول - المدخر فى الزمزمية - على شفتى . أمتلىء حقاً من الجثث الشهية المحنطة بالرمل .

الجيش يقول لك : تصرف !

وما أنا إلا كاراجيتش صغير ينهش وسط ليل أسود من قرن الخروب. يستطعم الرجل على أنها كتف . يقرمش الأذن بدلاً من الدماغ ...

- 7 -

تساعدنى فتحات متناثرة على تعقب أنفاس الليل والنهار . أُطارد الأيام والليالى بعلامات أخطها بقطعة جير . بدأت متحمساً يُشغلنى موتور الهمه .. ثم انقطع السلك ...

- 8 -

لا أشك مثقال ذرّة أن كرشى الآن أعظم من كروش موجهى اللغة الانجليزية ..

رخو أنا .. شمعى الملمس ...

لحيتى أعظم من لحية قلب الدين حكميتار .. أما شعرى فولا شعر أم الشعور ...

- 9 -

أيام مموهة . زيتية . ضيقة كعين الأومباشي . اللهم باستثناء يوم استغنيت فيه عن «٩ استعد» عن الألغاز والفوازير . لم أعد في حاجة للرقص بالآيش بل قلت للانهيار العصبي أعلى ما في خيلك اركبه !

كان خافتاً لكن أذني - أذن الدولفين - التقطته . ورأيتني مفروماً في خلاط فرحة باغية طاغية وباب المخزون الاستراتيجي من غرائز القتال وشهوات القنص ينفتح :

- مين هناك ؟

لم أنتظر رداً . أنزلت السُقاطة درجتين وسحبت الأجزاء فارتطمت طلقة التهويش بالسقف ..

وحصل المُراد من رب العباد .. كلمات مرتعشة تتماسك :

- ما من داع .. أنا

- انطق !

وجه أسمر منكس .. صوت تائه قليل الحيلة :

- محمد .. محمد فارح عيديد

- 10 -

وأنىّ لى أن أعرف أن الچنرال عيـديد سره باتع إلى هذا الحد ! آى نعم سمعت أن سره قد استـقرأ خيراً على ٢٥ ألف دولار . لكن أن تبلغ بركاته درجة حبل مُتدل من إحدى الفتـحات ! حبل فى نهايته - على أرض المخبأ - مقطف سياحى لعينه ملآن ...

- 11 -

دُخت

أفقت

زعقت

- يا چنرال .. من أين لنا هذا ؟

جـاء الرد كـعـواصـف دهشـور ، ليس من الچنرال ، بـل من الحـيطان والسقـف والأرض . صوت غريب أشـد هديراً من سواقى الهـدير . أعنف وشاً من محطة الكهرباء ..

صوت أخرسنا جبروته فخضعت أعناقنا فى تسليم مطلق :

- إحنا الشباب أكالين الضانى .. البنت حرة والولد شرانى .

- 12 -

شمس الشموسة ..

لم تأخذ سنة الجاموسة ، بل فتحت عليَّ النار . تُعاقبني بسلامتها على إبلاغي عن هذا العيديد ، على استلامي المعلوم . تُذكرني بالسور المكهرب يحوط الآن زنزانته ..

أرى ظلاً ..

نداهة تبتسم ...

تسعفني حكمة جدي : عش جباناً تمت مستوراً . عشت أياماً أخر أشارك الرئيس المؤمن البحث عن الذات . رعشة غير ظريفة . ارتفاع حرارة جبهتي . العميد زعلان يصوب الطبنجة . يأمرني بفتح فمي . أجاهد كي أنفذ الأمر قائلاً تمام يا فندم !

- 13 -

حين أفقت كان جذع الشجرة .

وحين تجاسرت كان اللون الأحمر .

حين قلت العمر واحد والرب واحد كان شريط الرمل مفروشاً بالورد ، ممتداً مد البصر ..

كان الجوادان أبيضين والعربة حرير .. والسلم نايلو ف نايلو ..

الكرباج في يدي ..

يومض كل شيء. ينقلب الوميض توهجاً . تغتسل الرمال بالنور. تختبيء عيني . يركض الجوادان.. على الجانبين تلمع أشجار مانجة وتفاح .

- 14 -

ليتنى ما تركت عينى تغادر مخبئها !

وجه كقرص الشمس ..

تقتـرب العربة . يتجلى ما لا يخطر عـلى قلبى .. كرنفال فقـاقيع ملونة تتطاير فى الفراغ .. تحيله إلى بستان من المسك والعـنبر . أقترب فإذا بالوجه يسد الأفق تماماً ...

أقواس قزح تحدد الحاجبين. قطعان المها ترعى داخل العينين . تنبع أنهار الخمر من الخد الأيمن وتصب فى الأيسر . ينساب الصوت ناعماً هادراً :

- بسرعة شهريار .. شف بختك يا روحى !

تدغدغ كيانى فلبيت وأنا أخر ساجداً :

- تباركت مولانا الحب وتعاليت ..

أجدنى فجأة على جناح أحد الجوادين . أمام البيت الأبيض يتركنى .

ينفتح الباب :

- للأمام سر !

طرقة طويلة معتمة وبقايا نور يشع من الكرباج ...

- 15 -

فقاقيع النور نفسها تنعس على أكتاف حاسرة .

أشجار الشعر الذهبى .. عواصف البرفان ...

والموضوع لا يحتاج ملاحظة قوية . إن الهمسات واللفتات - وأحياناً الغمزات - تتجمع قطرة قطرة حتى تصير عيناً رائقة تتخذ مجرى شفافاً يصب فى مكان ما .. مكان علىّ أن أتتبعه .. نعم إنى أتتبعه .. وأمضى بين موائد الفل .. أخطو عبر كئووس الهوى والشمبانيا .. أطأ مكاتيب الغرام . أغتسل بدمع العشاق . أثبت وردة العذارى فى جيب الچاكيتة . ألمح أول ما ألمح أزهار البنفسج ، جذورها فى الأرض ، سيقانها فارعة تصعد مغطية جانباً من الركبة . تلتف دورتين حول الوسط وأخرى عند الصدر ثم تهبط إلى الأرض ...

عند الرأس يتحلق زوجان من الكناريا . عند القدمين نافورة مياهها خضراء ...

وصدقونى حاولت فلم أفلح .. غصباً عنى انهارت أعصابى ولقيتنى أنفجر فى حالة هستيرية نادرة :

- لمن هذه الفردوس ؟

أنقذنى صاروخ «آرو» يحمل جسدى إلى قعر الجحيم ...

- 16 -

لم تعد العربة المجرورة بحصانين تنتظر جنابى . أذهب مؤقتاً بهيلكويتر خاصة . أبداً لا أجد مليكتى الملائكية . أثور رغم أن العظم وهن منى .. والبانك .. اشتعل شيباً .

- أنت يا فلاح !

- وى مون بير !

- كان هنا قمر بنفسجى ؟

- مون بير ! ألف مرة شرحت لك يا مون بير !

انتفض مصعوقاً . يحمر وجهى فى المرايا ..

- نعم يا روح أمك ! ألف مرة ! معمل غباء أنا !!

تنشق الأرض عن المدير . يطيب خاطرى . يأكل بعقلى حلاوة . يصفع الولد صفعة كده وكده ..

لكننى أحد المناضلين من أجل الإنسان . اسئلتى شمس ينبغى طلوعها . أكظم غيظى. أتناسى البرستيج . أهمل لحظة أصول الإتيكيت. أجده يبكى. أمسح دمعه . أرفع وجهه المنكس فى مواجهتى تماماً .

يا عبيط !

يتلامس أنفانا

- اسمعنى جيداً ولا تركب دماغك . أولاً قبل كل شىء لابد أن يستقر فى ضميرك اننى لم أكن أتكلم عن شفافية الركبة التى أبانت عن عظم مرمرى . ولا عن قوام جعل ملكات ميامى يخلعن - أمام عينى - التيجان

فوراً .. ولا حتى يا راجل عن صـدر جعل مارلين وليزا تقـتنيان - بمشورتى - فساتين سواريه بفتحات صدر ضيقة ...

- طيب معاليك تقصد ؟

- شيء أجلّ من أن يسمى .

- لو تتكرم سيادتك وتوضح !

- سيادتى فى سن والدك .

- يعنى .. ؟

- يعنى يكفيك أن تعرف أن هذه الليلة لا تعنينى فى شيء ...

- أكيد الليلة الثانية بعد الألف ...

- أبداً يا حـضـرة المدير الظريف .. ليلة مـا إن همـست فى أذن مـادونا بطرف من خبرها حتى أقسمت بحق العذراء ثم بالرابعة الطاهرة أن تتوقف فوراً عن طبع كتابها «الجنس» ..

ينفد صبر المدير :

- كفى ألغازاً فارغة !

يتسلق الخـدر اللذيذ ساقى . يتوغل . تتقلب روحى فى كنكـة مياه على النار . أظن المدير يصفق . أنبطح على المائدة .. يتـجمع الزبد حول فمى .. تصل أربع بنات حـسب مقـاسى المفـضل .. يُقلّبنى على الجنبين ، ينفـضن جيوبى ، ينظفن المحفظة .. يعبثن بشعرى الفضى ..

- مالك شهريار .. سلامتك ..

تلفحنى الضحكات الفتية المثيرة ..

يا سلام لو يعود الذى مضى !

لو ترجع أيام الثور الشقى والبقرات الظامئات ..
لا فائدة ..
مالى لا أستطيع الرد عليهن ؟
طيب نظرة ..
لا مفر ..
صداع صايع ..
عتمة بنت ناس ..

- 17 -

ها أنا من جديد .. يقظ وعارف .
ضوء خافت ..
لا أثر للمدير وزبانيته .. أسمع بنتاً تهمس :
الآن !
يخلعن الأرواب . يضعنها على الفراش . يحملننى وهن بالمايوهات ...
أضرع :
- ماذا ستفعلن بى ؟
- إطمئن مولاى .. باق ربع ساعة . حالاً نجهز الكفن .
بكل أشواق أبى حامد الغزالى يزغرد قلبى . ليناً طيعاً يغطس جسدى تحت ثلاثة أرواب بيضاء مبللة بماء الياسمين .. منقوش بعشرات من النجوم السداسية الكحلى ...

(١٩٩٣)

***

هوامش بالرصاص فى اللوح المحفوظ

- ١ -

ساعات فى الحر ، والعزبة اسكت هس همدانة ، تنقطع الرجل من على السكة والعفاريت الزُرق تقيّل .. تهب نسمة يتيمة لتسلم الروح عند دوّار الحاج رزق أبو مجاهد .

ساعات والبيت فخ من الطين ، تطن فى الصالة المعتمة ذبابات عمياء . والبيت فخ من الطين . فى جنباته تتنوع نغمات الشخير . وعلى أسرته النحاسية الأجساد دائخة ملقاة . حاول المحبوس فى حضن أمه . حاول بالفعل أن يستهدى بالله وينعس . قال الشيخ يحبنى لو نمت هكذا وانقلب على جنبه الأيمن . والشيطان أبو قرون وبصبوص نار فى عينه يحبنى لو نمت هكذا وانقلب على جنبه الأيسر ، لا فائدة ، يحاول مهما يحاول ، النوم حلو لذيذ وأمه توقظه كل صباح ليذهب للمدرسة ، ابن كلب الآن لا يجىء ..

– 2 –

فى الجرن يدوخ الحر . يتكاثف فيبصره الولد قلباً اسطوانياً نابضاً . الولد لا قبل لعينيه بهزار الشمس الثقيل ، لا قبل لقدميه بشواية التراب . السرعة هى الحل . سريعاً يتجه الولد صوب النخلة وراء الدوّار . الجيوب عامرة بالزلط. والقناة ملآى . والتراب هنا طيب . قلقاً يزن الولد ارتفاع سباطة البلح ، متعشماً ينتقى زلطة مدببة . وقبل أن يقذف قذيفته الأولى ، تميل رأسه قليلاً فيراه : هادئاً ساكناً يستند بكتفه إلى حائط الدوّار ، هادئاً ساكناً يتطلع إلى الولد بعيون زجاجية ...

– 3 –

العيال فى العزبة لديهم ألف سبب كى «يعملوها» على أنفسهم إن هم رأوا أبو نوفل. لكنه مضى وشىء إلهى – لا يعرف كيف – مسح عنه الجزع.

هكذا هو الآن لا يخشى شيئاً بل ،يمضى فرحاً مشتاقاً لهذا الرائع المجهول الذى سأل الهاتف عن ميقاته فقال : حالاً !

لم يبد أى تساؤل وهو يسحبه من يده. ولم ينزعج من يمينه تنزلق من كتفه حتى سافلته. لمسات خفيفة لجس النبض كأنما القلب بعد لم يطمئن.

- 4 -

خدرته رائحة العرق داخل الدوّار ، فما أفاق إلا وردفاه عاريين وأبونوفل يتوحوح . وهو على بطنه مطروح . تهرس وركه إبر الخيش . يتناسى الألم بالنظر إلى طاقة الجدار فيبصر ضروع البقر ممتلئة ويبصر العضو الأحمر متدلياً بين فخذى أحد الثيران .

- 5 -

الآن - من فوق سبع شرفات - يعرف كان تلاقيهما أغرب الهوامش المدونة بالرصاص فى اللوح المحفوظ ، إذ لم يكن أبونوفل مجرد حمار شغل لا أصل له ولا فصل يعمل لدى الحاج رزق أبو مجاهد ، ولم يكن أبو نوفل مجرد نشفان عدمان يعرض عليك نفسه وهو يقول عضلات للبيع !

اسألوا الحفاة العراة - عيال العزبة - يقولوا كل هذا كوم وكون أبو نوفل أسود كوم ..

أسود ونحيف وفى حاله لكنهم رغم هذا - ربما لهذا - لم يعتقوه . وكان مُسليّاً بالفعل أن تشاهدوهم بزى القتال - الفانلة والكلوت - يبص من أنوفهم سائل يجدون له حلاوة كلما مس ألسنتهم . شعرهم ليف وأظافرهم حوافر فهم الآن فى الإجازة المدرسية مرتاحون من خلقة الزائرة الصحية . حفاة ، فالشباشب سخيفة ، لا معنى لها حين يتسللون من البيوت ويتجمعون فى المكان الموعود «مصلى الترعة» .

ساعتها يتمثل أول أوامر عبده الأصفر فى الهجوم المباغت على نقلة

الزلط المحطوطة فى الجرن والعودة سريعاً وقد عمّر كلٍ منهم حجر فانلته ثم إرسال العيون تأتيه بخبر أبو نوفل وعليه تكون خطة الهجوم .

كانوا يقصفونه بصواريخ الورق المُحملة برؤوس ترابية . ويقتنصونه بطلقات الطوب والزلط . وأحياناً يدكون شباك «القاعة» بالغاب الأخضر وهو بالداخل مقيّل . وتبقى حكة الواحد منهم لأرنبة أنفه سلاحاً مدهشاً يعفرت أبو نوفل ويفقده أعصابه .

أما هو فكان طالعاً لأمه البندرية : أبيض وسمين . الوحيد بين عيال العزبة الذى يقول «ماما» . والوحيد الذى لا يعملها جهاراً .. نهاراً على شط الترعة ثم يبحث عن ورقة يمسح بها . وحين يحاصر العيال الحاج رزق وهو بالشمسية البيضاء فوق البغلة ، فاردين أكفهم ، مرددين النداء فى إلحاح غريب :

قرش يا سيد ! قرش يا سيد !

كان يستغرب : فلم يكن يعرف غير «سيد» واحد هو جده الله يرحمه . وفى مرة ضربته أمه وهى تقول اسمه «جدو» يا حمار .

- 6 -

لم يبك أبو نوفل من حملة العيال عليه . ولم يضحك هو من المنظر يتكرر قدام عينه : أبو نوفل أسود وطويل فاض به الكيل . يقبض بيده على تكة اللباس وفى أسنانه طرف الفانلة ملموم . بعزم ما فيه يطيح حافياً وراء العفاريت الصغيرة التى أخذت ذيلها فى أسنانها وطارت . لكن ولو !

لابد أن يقع أحدها فى يده . وفى لحظة ينقلب العفريت الشقى إلى أرنب ينفجر فى بكاء مر . وفى كل مرة ، وقبل أن يطفىء ناره ، يفاجأ أبو نوفل بفلاح فصيح تنشق عنه الأرض ليحول بينه وبين العفريت الصغير :

- عيب عليك يابو طويلة ! الأطفال أحباب الله !

- 7 -

خبطة واحدة بالطوبة - يخرب بيتك يابو نوفل - وتمطر السباطة بلحاً أحمر وفيراً . ولم يكن يصدق . البلح رغم الخدوش والتراب مختلف تماماً عن هذا الذى تشتريه أمه من عربات الكارو الطوافة . كل «جعدور» والثانى مستطيل وغليظ وأحمر فى حمرته حياة يجرى لها الريق ، كالمحروم يهجم عليه ، يهم بدفنه فى بطنه ، غير أن أبو نوفل بعينيه ينهره ، يحمل البلح فى مصفاة بلاستيك ويمضى نحو حنفية حوض الأسمنت ..

– 8 –

تفضلوا باسم الله !

أبو نوفل يفتح الآن صُرّة الزاد . أرغفة مقددة من النوع الذى لا يخبزه فى العزبة كلها سوى حريم الحاج . طبق مش قديم . بصل وخيار وطماطم ..

تفضلوا !

مدوا أيديكم إلى المنديل المفرود ولا تنتظروه. صحيح أنه ميت من الجوع ، وصحيح أن هذه الأصناف لم تجتمع أمامه سوى مرة واحدة فى الحلم ، لكنه كما علمته أمه ، يجب أن يمسك نفسه ويقول بأدب :

– شكراً يابو نوفل . أنا شبعان والله ..

– 9 –

فى لقاءاتهما الخاصة ، كانا – من باب التغيير – يتبادلان الأدوار . يعطيه أبو نوفل ظهره كاشفاً له عن شىء فى حجم الكرمبة يقلقه فيظل يوزع نظراته الحائرة بينه وبين حمامته الصغيرة النعسانة إلى أن يطوق خصره بذراعيه القويتين ويظل يدفعه إليه لأن نصف العمى ولا العمى كله .

– 10 –

لقد انتهيا من العمل . ملأ «الطوالة» بالبرسيم قبل أن تسيل التواشيح من ميكرفون الجامع . وظهرت على البهائم أعراض الشبع السعيد قبل أن تتلفع العزبة بشال بنفسجي ناعم وله شراشيب .. لقد انتهيا من العمل والقمر لونه مخطوف ، يبص على أبو نوفل وهو تحت الجاموسة . يداه قبضتان تمسكان بحلمتين . قبضة ترتفع والأخرى تهبط و«الأفثول» على الأرض يمتلىء بزخات اللبن .. الرفيعة .. الحادة ..

– 11 –

سريعاً انقضت ليالي النور وجاء اليوم الموعود . والمفروض وهو يطل الآن – من فوق هذه الشرفات – أن يعزو المسألة لسنة الحياة وحِكم الكبار العقلاء القائلة بأن دوام الحال من المحال .. لكن كيف وقد كان دبوراً بكامل قواه الإرادية يزن على خراب عشه !

يقعد على عتبة دارهم ويقع الآخر – عبده الأصفر – على سلالم بيت خالة أنيسة . وجهه فى وجهه والجرن بينهما تصيع فيه شلة كلاب من مقاطيع العزبة . وشمس البكور الطيبة لا تعرف لماذا أيقظتها الملائكة قبل الآوان ..

لقد ملَّ هذه المعارك الكلامية التى كانت تندلع بينهما بلا مبرر . واقتنع أخيراً بأن الأصفر ابن حرام (سلّ ملّ) لا يجاريه أى جنى مصور فى الشتيمة التى تنطلق من فمه على هيئة رشاش سريع مُركّز لا يعتق حتى دين أم أمك الماشية فى شارع شريف حاطة أحمر على خفيف ..

هكذا فى صمت راح يستطعم البلحة وهو يبالغ فى إظهار تلذذه . بقدمه يشوط «النقاية» والفرحة لا تسعه . لكن الأصفر ليس عبيطاً . لو كان له جيوب لدس فيها يديه فتصله الرسالة أن الأصفر ولا يهمه . لكنه يا خسارة لا يرتدى سوى بدلة القتال المعترف بها فى العزبة ، فلا أب ولا أم يستوقفه منظر طفل حاف يمشى فى السكة مرحاً بفانلة مثقوبة و«كلوت» بلون التراب ..

يتجلد الأصفر مهما يتجلد ، فى النهاية لابد أن ينهار أمام خطته الجديدة:

- من نخلة أبو مجاهد ؟

ترعشه اللذة وهو يومىء باسماً ..

- واحدة يا صاصا ؟

- فى المشمش يا أصفر !

ويقهقه فيلملم الأصفر كبرياءه . يقهقه فيتوعده الأصفر فى نبرة تصعب على الكافر :

- طيب يا صاصا !

- 12 -

الذى يقـهقـه هو الأصفـر ، والذى احمّـر وجهـه واخضّـر واصفّـر هو صاصا ..

- أبو نوفل هو اللى عطاك البلح .. صح ؟

- ....

- أعطاه لك بعدما ...

ويقهقه الأصفر . يقهقه . يستند على الكافورة كيلا يقع من طوله .

- وحياتك لأقول لأمك !

وعلى إيقاع النشوة ينط . على إيقاع التصفيقة يغنى :

- وهاقول لأمك ! هاقول لأمك !

كيف انـتشل نفـسه من دوامة المفـاجأة والرعب ، واهتـدى بعقلـية هذا العمر الأخضر إلى هذا الحل الجسور : لـو رجاه لزاد فيها أكثر ، ولظل إلى ما لايعلم تحت رحمته . إذن فليبادر صاصا ويقطع عليه الطريق ..

حمل رعـبه على كتـفه ومضى إلى أمـه تحت عريشة الزريبـة . حكى ما معناه أن الأصفـر هذا شرموطة وابن كلـب أكله الغيظ لما شاف جيوبه ممتلئة بالبلح ، فلم يجد أمامه غير هذا الاتهام القذر ..

استـمعت أمه دون أن تقـوم من على كرسى الحمـام . كانت تصب الماء الطاهر على ذراعيها وسـاقيها وهى تتشهد وتُكـبر . أشارت له فى النهاية ، دون أن تفتح فمها ، فـتبعها وهو يحمل العصا ، تبـعها وهو لا يحاول خلع المسمار البارز فيها ..

- 13 -

ما صـاصا إلا كلب أعرج يدب . الدنيـا عتمـة وعاصفـة ترابية صغـيرة تلعب استغماية . الدنيا برد . وجواسيس الأصفر أسطورة ولاء .

يُســرع

يُبطــىء

يشـرّق

يغـرّب

لا ينسـون التعليـمات . لا يتـحرشـون بصاصـا . لا يزفونه وزعـيمـهم غائب. يكفى مؤقتاً أن يتسللوا بالفانلة والكلوت فى هدوء خلفه ...

(دمياط - ١٩٩٥)

***

الفهرس

من قائمة الإصدارات الأدبية

رواية .. قصة

العنوان	المؤلف
ليلة العشق والدم	إبراهيم عبد المجيد
حمدان طليقاً	أحمد عمر شاهين
تباريح الوقائع والجنون	إدوار الخراط
رقرقة الأحلام الملحية	إدوار الخراط
مخلوقات الأشواق الطائرة	إدوار الخراط
لا أحد يحبك	أماني فهمي
دنا فتدلى (من دفاتر التدوين ٢)	جمال الغيطاني
مطربة الغروب	جمال الغيطاني
دموع إيزيس	حسني لبيب
أحزان رجل لا يعرف البكاء	خالد غازي
الحب والتتار	خالد عمر بن ققه
أيام الفزع فى الجزائر	خالد عمر بن ققه
يومية هروب	خيري عبد الجواد
مسالك الأحبة	خيري عبد الجواد
العاشق والمعشوق	خيري عبد الجواد
حرب اطاليا	خيري عبد الجواد
حرب بلاد نمنم	خيري عبد الجواد
حكايات الديب رماح	خيري عبد الجواد
الطريق والعاصفة	رأفت سليم
فى لهيب الشمس	رأفت سليم
اركبوا دراجاتكم	رجب سعد السيد
أنا كنده	كيروجا ترجمة : رزق أحمد
سيرة عزبة الجسر	سعد الدين حسن
شجرة الخلد	سعد القرش
شهقة	سعيد بكر
أيام هند	سيد الوكيل
الممنوع من السفر	شوقى عبد الحميد
الدميرة	د.عبد الرحيم صديق
جسد فى ظل	عبد النبى فرج
الفوز للزمالك والنصر للأهلى	عبد اللطيف زيدان
ليس هناك ما يبهج	عبده خال
لا أحـــــد	عبده خال
صعيدى صَح	د. عزة عزت
الشاعر والحرامى	عزت الحريرى
فى انتظار ما لا يتوقع	عصام الزهيرى
إينارو	د. على فهمى خشيم
تحولات الجحش الذهبى	لوكيوس ابوليوس ترجمة د.على فهمى خشيم
سراديب	عفاف السيد
الزجاج المكسور	د . غبريال وهبه
ينابيع الحزن والمسرة	فتحى سلامة
يوميات عابر سبيل	فيصل سليم التلاوى
وتر مشدود	قاسم مسعد عليوة
خبرات أنثوية	قاسم مسعد عليوة
حب وظلال	كوثر عبد الدايم
ترانزيت	ليلى الشربينى
مشوار	ليلى الشربينى
الرجل	ليلى الشربينى
رجال عرفتهم	ليلى الشربينى
الحلم	ليلى الشربينى
النغم	ليلى الشربينى
الخرابة 2000	محمد الشرقاوى
كوميديا الإنسجام	محمد بركة
أشياء لا تموت	محمد صفوت
إلحاح	محمد عبد السلام العمرى
بعد صلاة الجمعة	محمد عبد السلام العمرى
الخروج إلى النبع	محمد قطب
رشفات من قهوتى الساخنة	محمد محى الدين
الحبيب المجنون	د. محمود دهموش
فندق بدون نجوم	د. محمود دهموش
الهروب مع الوطن	ممدوح القديرى
نسيج الأسماء	منتصر القفاش
ثلاث حقائب للسفر	منى برنس
حافة الفردوس	نبيل عبد الحميد
ديسمبر الدافئ	هدى جاد
خلف النهاية بقليل	وحيد الطويلة
قرد حملم	يوسف فاخورى

شعر ..

أول الرؤيا	إبراهيم زولي
رويدا باتجاه الأرض	إبراهيم زولي
قصائد حب من العراق	البياتي وآخرون
بدلاً من الصمت	درويش الأسيوطي
من فصول الزمن الرديء	درويش الأسيوطي
تماماً إلى جوار جثة يونسكو	رشيد الغمري
كأنها نهاية الأرض	رفعت سلام
الألوان ترتعد بشراهة	شريف الشافعي
صلاة المودع	صبري السيد
دنيـــــا تناديـــا	طارق الزياد
تلف	ظبية خميس
البحر، النجوم، العشب في كف واحدة	ظبية خميس
كتاب الأمكنة والتواريخ	عبد العزيز موافي
حواديت لفندي	عصام خميس
سيرة الماء	د . علاء عبد الهادي
راتب الألفة	علوان مهدي الجيلاني
إضاءة في خيمة الليل	علي فريد
نصف حلم فقط	عماد عبد المحسن
عطر النغم الأخضر	عمر غراب
سراب القمر	فاروق خلف
إشارات ضبط المكان	فاروق خلف
أوراق مسافر	فيصل سليم التلاوي
إذهب قبل أن أبكي	د . لطيفة صالح
الغربة والعشق	مجدي رياض
مشاعر همجية	محسن عامر
غربة الصبح	محمد الفارس
وَنَس	محمد الحسيني
ليالي العنقاء	محمد محسن
العجوز المراوغ يبيع أطراف النهر	نادر ناشد
هذه الروح لي	نادر ناشد

مسرح ..

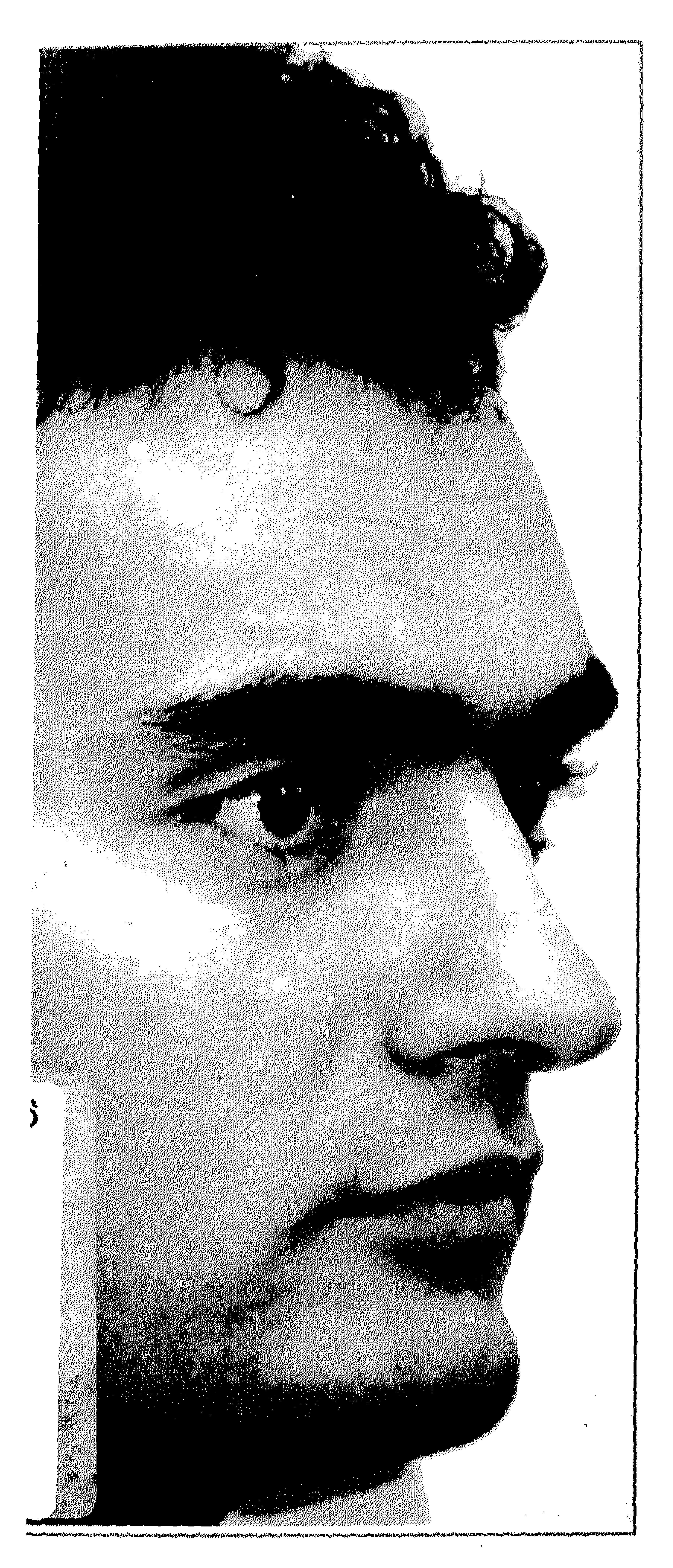
هذه الليلة الطويلة	د.أحمدصدقي الدجاني
اللعبة الأبدية ـ (مسرحية شعرية)	محمد الفارس
مملكة القرود	محمود عبدالحافظ

دراسات ..

هاجس الكتابة	د . أحمد إبراهيم الفقيه
تحديات عصر جديد	د . أحمد إبراهيم الفقيه
حصاد الذاكرة	د . أحمد إبراهيم الفقيه
الوقوف على الأمية عند عرب الجاهلية	أحمد الأحمدين
قراءة المعاني في بحر التحولات	أحمد عزت سليم
ضد هدم التاريخ وموت الكتابة	أحمد عزت سليم
اللغة والشكل	أمجد ريان
المثقفون العرب والتراث	جورج طرابيشي
ثقافة البادية	حاتم عبد الهادي
المثل الشعبي بين ليبيا وفلسطين	خليل إبراهيم حسونة
أدب الشباب في ليبيا	خليل إبراهيم حسونة
العنصرية والإرهاب في الأدب الصهيوني	خليل إبراهيم حسونة
أباطيل الفرعونية	سليمان الحكيم
مصر الفرعوبية	سليمان الحكيم
البعد الغائب ، نظرات في القصة والرواية	سمير عبد الفتاح
رواد الأدب العربي في السعودية	شعيب عبد الفتاح
الكتابة المشروع	شوقي عبد الحميد
رحلة الكلمات	د . علي فهمي خشيم
بحثاً عن فرعون العربي	د . علي فهمي خشيم
أعلام من الأدب العالمي	علي عبد الفتاح
هيمنجواي حياته وأعماله الأدبية	د . غبريال وهبة
زمن الرواية : صوت اللحظة الصاخبة	مجدي إبراهيم
في المرجعية الاجتماعية للفكر والإبداع	محمد الطيب
الجات والتبعية الثقافية	د. مصطفى عبد الغني
أدب الطفل العربي بين الواقع والمستقبل	ممدوح القديري
الرواية العربية : رسوم وقراءات	نبيل سليمان

بالإضافة إلى : كتب متنوعة : سياسية - قومية - دينية - معارف عامة - تراث - أطفال .
خدمات إعلامية وثقافية (اشتراكات) : ملخصات الكتب - وثائق - النشرة الدولية - دراسات عربية - معلومات - ملفات صحفية موثقة.

الآراء الواردة في الإصـــدارات لا تعـــبـــر بالضـــرورة عـن آراء يتـــبناهـا المركــز



سأعبر حزن أمي ولهفة حبيبتي وسأتوجه لذلك الرائق الجميل الذى أحرج رقابة المصنفات بأغنيطة: «كداب يا خيشة .. كداب قوى .. أنا كنت فاكرك فهلوى» .

فلما قالت له الرقابة «لايمها حبتين» .

كانت أغنيته الجديدة : «طيب يا خيشة وكلك طيابة .. زعلت منك حتى الرقابة» ...